شـــرح:

كتاب الكبائر

لِمُؤَلِّفِهُ الْإِمَامِ:

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ الذَّهَبِيُّ

لِفَضِيلَةِ الشّيْخِ

أ.د: سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

ابن الجزري
مكتب ابن الجزري للبحث العلمي والتفريغ الصوتي
٠٠٢٠١٠٣٠٢٦٩١٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس (٢٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، وأشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إله الأولين والآخرين، وأشهد أن نَبِيَّنَا محمدًا عبده ورسوله المبعوث رحمةً للعالمين، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ يوم الدين، ورضي الله عن آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

وَبَعْدُ؛

فأرحبُّ بالجميع رجالًا ونساءً في هذا المسجد الذي بناه رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أصحابه عند أول قدومه المدينة، فكان أول مسجد جامع بُنِيَ بعد بعثة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صلىٰ فيه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصلىٰ فيه الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم، وصلىٰ فيه أئمة المُسْلِمِيْنَ. فنسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعلنا خلفًا لهم صالحين، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

درسنا في هذا المسجد في شرح كتاب الكبائر للإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ونشرع اليوم في شرح ما يتعلق بالكبيرة الثالثة عشرة، فيتفضَّلَ الابن نور الدين وَفَّقَهُ اللهُ والسامعين يقرأُ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ. أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في كتابه الكبائر: الكبيرة الثالثة عَشْرَةِ: الإمام الغاش لرعيته الظالم الجبار.

(الشرح)

الإمام هو الحاكم الأعظم في البلد، سواءً امتدت رقعة البلد أو كانت صغيرة، ونوابه وأمراؤه يتبعونه في الأحكام ويأخذون حكمه فيما أُسنِدَ إليهم من قبله.

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لي أُمَرَائِي؟» رواه مسلم في الصحيح. خالد بن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان أميرًا علىٰ جيش، كان واليًا علىٰ جيش، فقتل رجلًا من الكفار، وكان سلبه كَثِيْرًا عظيمًا، فأبىٰ خالد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يعطيه ذلك السلب لأنه كثير، ورأىٰ أنه لا يُعطىٰ لواحد، فأُوصِل هذا الأمر إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لخالد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لم منعته؟»، قَالَ: «اسْتَكْثَرْتُهُ يا رَسولَ اللهِ»؛ يعني رأيته كَثِيْرًا علىٰ واحد وفيه مصلحة المُسْلِمِيْنَ. فقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أعطه، أعطه».

فقال الرجل الذي أوصل الأمر إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالمتعاظم علىٰ خالد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (ألم أقل لك؟)، فسمعه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستغضب، وغضب صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: «هلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لي أُمَرَائِي؟»؛ فدل هذا علىٰ أن الأمراء يتبعون الحاكم الأعظم في الأحكام فيما أُسند إليهم، والذي يسمىٰ بمصطلحات اليوم الصلاحيات؛ فالصلاحيات التي جعلها ولي الأمر لنائبه أو أميره أو نحو ذلك ينوب فيها عن الحاكم فإنه يأخذ حكم الحاكم فيها، بل يتبع الحاكم في هذه الكبيرة التي معنا كل من استُرعي رعية ولو قلت، فيدخل في ذلك الرجل في أهله، ويدخل في ذلك المرأة في بيتها، ويدخل في ذلك الَّذِينَ أُؤتمنوا عَلَىٰ دين الناس؛ العُلَمَاء والمشايخ، ويدخل في ذلك من استُؤمِن علىٰ مال؛ كالعامل الذي يُستأمن علىٰ مال، كلهم يدخلون في هذه الكبيرة؛ أعني فيما يتعلق بها.

والإمام الأعظم نصبه فرض مؤكد، والوفاء ببيعته سلامة من حياة الجاهلية، ووجوده خيرٌ بارًا كان أو فاجرًا، عدلًا كان أو جائرًا. وما يتحقق بوجوده من الخير أعظم بكثير من مفاسد فجوره إن كان فاجرًا، ومن مفاسد جوره إن كان جائرًا؛ دلت علىٰ هذا الأدلة، وأجمع علىٰ هذا سلف الأُمَّة. وكونه عدلًا أو جائرًا بارًا أو فاجرًا لا يؤثر في حقه علىٰ الرعية مُطْلَقًا، ما دام أنه مسلم، فقد دلت علىٰ ذلك الأدلة وأجمع علىٰ ذلك سلف الأُمَّة. ومن أعظم ذلك السمع والطاعة له في غير معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وحفظ هيبته، والوفاء له ببيعته، وعدم الخروج عليه ولو بكلمة، وعدم تزيين

الخروج عليه ولو بكلمة. والمتقدر عند أهل العلم أن حق الرعية علىٰ الراعي منوط بالمصلحة، وحق الراعي علىٰ الرعية منوط بالولاية. حق الرعية علىٰ الراعي منوط بالمصلحة؛ وهذا مجال الكلام عن هذه الكبيرة. وحق الراعي علىٰ الرعية منوط بالولاية، ما دام أنه وال مسلم فحقه قائم، فلا يجوز لأحدٍ أن يَقُوْل: أن حقه مبني علىٰ المصلحة وأنا أرىٰ أنه لا مصلحة في طاعته في هٰذَا؛ هذا باطل ترده الأدلة ويرده إجماع السلف. بل حق الراعي علىٰ الرعية منوط بالولاية، فإذا أمر بأمرٍ وهو والٍ وجب أن يطاع فيه إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْصِيَةً لِلَّهِ؛ وهكذا.

وكونه إمامًا لا يخرجه عن كونه عبدًا من عباد الله، يجب عليه أن يطيع الله، ويحرم عليه أن يعصي الله، وهو كسائر الناس في هذه الدنيا كادحٌ إلىٰ الله كدحًا فملاقيه، فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره.

ويزيد الحاكم والإمام الأعظم علىٰ سائر الناس أنه تحمل أمانة عظيمة هي أمانة الولاية ورعاية الناس، وهو مسؤول عن رعيته عند لقاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وفرض عليه مؤكد أن يجتهد في الأصلح في حق الرعية ما دام قادرًا عليه. ومن كبائر الذنوب ألا يجتهد في الأصلح للرعية، وأن يغشهم؛ وهذا كما قلنا وقدمنا ليس خاصًا بالإمام الأعظم، بل كل من استُرعي رعية فمن كبائر الذنوب أن يغش الرعية، وألا ينصح لهم. من كبائر الذنوب أن الأب في بيته لا يأمر أهله بالفرائض، ولا ينهاهم عن الحرام. من كبائر الذنوب أن الرجل يأتي في بيته بما يفسد أهل البيت ولو كان صالحًا، لو كان الأب صالحًا لكن لو يأتي في بيته أو إلىٰ أهل بيته بما يفسدهم فإنه يكون مرتكبًا لكبيرة من كبائر الذنوب. ومن الكبائر أن يتجبر عليهم، وألا يرحمهم.

وقد أورد الذهبي رَحِمَهُ اللهُ عددًا من الأدلة سنأخذ جزءًا منها في هذا المجلس ونكملها إِنْ شَاءَ اللهُ في المجلس القادم، فنسمع ما أورد رَحِمَهُ اللهُ.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ:

قال الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورىٰ: ٤٢].

(الشرح)

(إنما السبيل) يعني إنما تتوجه الحجة بالعقوبة ويقع الحرج العظيم علىٰ الذين يظلمون الناس ولا يعطونهم حقوقهم الواجبة عليهم. (ويبغون في الأرض بغير الحق) أي يعتدون علىٰ الأنفس بغير الحق، يعتدون علىٰ الأعراض، يعتدون علىٰ الأموال؛ فهؤلاء هم الذين عليهم الحرج، وهؤلاء هم الذين عليهم الحجة للعقوبة، ولهم يوم القيامة عذاب أليم، مؤلم شديد الألم، موجع شديد الوجع، وهذا يدل علىٰ أن ظلم الناس كبيرة من كبائر الذنوب. ولا شك أن العدل واجب علىٰ كل أحد لكل أحد، وعلىٰ أن الظلم حرام علىٰ كل أحد لكل أحد. فالعدل فرض مطلق، والظلم محرم مطلق. ما يوجد أحد في الدنيا يجوز ظلمه؛ العدل الواجب لكل أحد علىٰ كل أحد، والظلم حرام علىٰ كل أحد لكل أحد، وكبيرة من كبائر الذنوب. وأعظم الظلم ظلم الراعي للراعية، إن وقع فإنه من أعظم هذا الحرام.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وقال تَعَالَىٰ: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩].

(الشرح)

أولًا: الآية الأولىٰ وجه إيرادها أنها تدل -كَمَا قُلْنَا- علىٰ وجوب العدل وحرمة الظلم، وأن الظلم كبيرو من كبائر الذنوب. وهذا يلحق الحاكم وأفراد الناس، فالظلم حرام علىٰ الجميع.

وأعظم النصح الواجب للراعية أن يقوم الراعي علىٰ دينهم، وأن ينصح لهم في دينهم، وأن يحمي دينهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بنفسه أو بإنابة غيره. فمن الكبائر أن يترك الراعي رعيته هَمَلًا يفعلون ما يشاءون، ويرتكبون ما يريدون، لا يُؤمرون بمعروف ولا يُنهون عن منكر، ولا يُعاقبون علىٰ مخالفة؛ هذا من كبائر الذنوب، وكما قلنا فإنه يدخل فيه كل من استرعاه الله رعية، فالله

علىٰ سبيل الذم ذم أولئك القول من أهل الكتاب أنهم كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ ومَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ».

(الشرح)

هذا الحديث مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ؛ (كلكم) كل المكلفين من الرجال والنساء رعاة، وكلٌ مسؤولٌ عن رعيته. أقل الناس رعاية من يرعىٰ نفسه، وهو مسؤول عن نفسه، سيُسأل عن شبابه وكِبَرِه؛ ماذا فعل لنفسه. وفي الحديث عند البُخَارِيّ: «فَالإِمَامُ رَاعٍ ومَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ»، وعند الشيخين البخاري والمسلم: «فالأمِيرُ الذي علَىٰ النَّاسِ راعٍ، ومَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ». والراعي هو المُؤتَمَن المُوكَل إليه حفظ الرعية؛ فيجب عليه أن يحفظهم ويحفظ مصالحهم، ويجتهد في صالحهم أو إصلاحهم، وسيُسأل عن ذلك بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وهذا خبر يُراد به الوعيد، فمن أصلح فإنه ينجو، ومن غش فإنه متوعد بالعقاب يوم القيامة.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن غشَّنا فليس مِنَّا».

(الشرح)

«مَن غشَّنا فليس مِنَّا» رواية عند مسلم، وفي رواية أخرىٰ: «مَن غَشَّ فليسَ مِنِّي». والغش هو عدم النصح وعدم السعي في الأصلح مع القدرة عليه، وعدم السعي في الإصلاح. وقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من غَشَّ فليس مِنَّا».

وفي الرواية الأخرىٰ: «فليسَ مِنِّي»؛ أي ليس علىٰ طريقتنا، وليس علىٰ طريقتي. وهو كنفي الإيمان، المراد به نفي الإيمان الواجب وليس نفي الكمال ولا نفي الأصل. فليس معنىٰ (فليس منا) ليس من خيارنا وأكاملنا، كما تقول المرجئة. وكذلك ليس معناه (ليس من المسلمين بل من الكفار) كما تقول الوعيدية المكفرِة، وإنما هذا كنفي الإيمان، نفي السير الواجب في هذه الجهة علىٰ طريقة المُسْلِمِيْنَ، وعلىٰ طريقة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والمقصود به الردع والزجر عن هذا الفعل، وقد تقدم معنا أن نفي الإيمان يدل علىٰ أن ارتكاب ما نُفي الإيمان عن فاعله من كبائر الذنوب. كذلك إذا جاء في الحديث (ليس منا، أو ليس مني) فإن هذا يدل علىٰ أنه كبيرة من كبائر الذنوب. فالغش كله ولو في صبر الطعام كبيرة من كبائر الذنوب. فالذي يضع الجيد من الفواكه فوق والصغير والأخضر أسفل فهذا مرتكب كبيرة من كبائر الذنوب. العامل الذي يأتي شخص بسيارته ليصلحها فيرىٰ فيها أنه ما يعرف فيقول له تحتاج كذا وكذا وكذا وهي ما تحتاج مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب. فما بالك بما كان أعلىٰ، الغش في الدين؛ هؤلاء المبتدعة، هؤلاء أهل الأفكار البدعية الخارجية، هؤلاء أشد الناس غشًا للناس؛ لأنهم يغشون الناس في دينهم، في أعظم ما عند الاسلام وهو الدين، ويوردون بعض العامة المهالك.

الآن بعض العامة من المسلمين يسبون علماء كبار يسمونهم علماء السعودية، وهؤلاء العلماء الذين يسبونهم والله إنا نعلم فيهم من الخير ما لا نعلمه في غيرهم اليوم، ولا نزكي علىٰ الله أحدًا، هم فيما نرىٰ من أولياء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. والله قال كما أخبرنا رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن عادَىٰ لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ». يغشون العامة، ويهيجون عواطفهم، ويجعلونهم يسبون العلماء من عوام المُسْلِمِيْنَ. اليوم من يسب شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب، من يسب العُلَمَاء. بل بلغ أن هؤلاء قطاع الطرق الدجالين الغشاشين يسبون إمام العصر اليوم الشيخ صالح الفوزان حَفِظَهُ اللهُ، والعوام يندفعون وراءهم. هؤلاء والله فوق بدعهم التي هي أعظم من الكبائر هم غشاشون للأمة ومرتكبون كبيرة من كبائر الذنوب. كذلك من وَلِيَ أمرًا فكان أميرًا أو حاكمًا فغش الرعية ولم ينصح لهم فهو مرتكب لكبيرةٍ من كبائر الذنوب.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَومَ القِيَامَةِ».

(الشرح)

هذا الحديث مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، رواه الشيخان البُخَارِيّ ومسلم. وكما قلنا فإن العدل فرض علىٰ كل أحد لكل أحد، والظلم حرام علىٰ كل أحد لكل أحد. والظلم وضع الشيء في غير وضعه المختص به وعدم إعطاء الحق أو النقص منه أو الزيادة عليه علىٰ وجه يخل بالعدل. عدم إعطاء الحق الواجب

ظلم. النقص من الحق الواجب مع القدرة ظلم. الزيادة عن الحق الواجب قد تكون فضلًا حسنًا وقد تكون ظلمًا؛ إن كانت علىٰ وجهٍ يخل بالعدل فهي ظلم، وإن لم تكن فهي فضلٌ وإحسان. يعني إذا كان الأب يعطي أحد أولاده زيادة عن حقه الواجب في النفقة ولا يعطي بقية الأولاد فهذا ظلم لأنه يخل بالعدل. إذا كان الرجل يعطي إحدىٰ زوجاته فوق النفقة الواجبة شَيْئًا عظيمًا كبيت أو مبالغ كبيرة دون بقية الزوجات فهذا ظلم لأنه زيادة عن الحق تتضمن ظلمًا وعدولًا عن العدل، وتخل بالعدل.

والظلم ظلمات يوم القيامة؛ وقد قال بعض أهل العلم معنىٰ كون الظلم ظلمات يوم القيامة أنه علىٰ وجه الحقيقة يكون الظالم يوم القيامة في ظلمة، في وقت هو في أعظم الحاجة إلىٰ النور، يكون في ظلمة حقيقية في ذاك اليوم العظيم الذي يحتاج فيه الإنسان حاجةً عظيمة النور ليُرَىٰ طريقه إلىٰ الجَنَّة. وقال بعض أهل العلم بأن معنىٰ كون الظلم ظلمات يوم القيامة أنه شدائد متتابعة علىٰ صاحبه يوم القيامة، شدائد وكُرَبْ عظيمة يوم القيامة. والأظهر واللهُ أَعْلَمُ أن الأمرين مرادان، فالظلم شدائد عظيمة علىٰ الظالم يوم القيامة، وكُرِبْ عظيمة علىٰ الظالم يوم القيامة، وظلمة حقيقية يوم القيامة. وهذا وعيد شديد، ويدل علىٰ أن الظلم -كَمَا قُلْنَا- مُطْلَقًا كبيرة من كبائر الذنوب. ولا شك أن الواجب علىٰ الإنسان أن يجاهد نفسه في ترك الظلم كله، وأعلىٰ الظلم وأقبح الظلم الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أن يعبد الإنسان مخلوقًا أو يدع الخالق أو يشركه مع الخالق ولو بالتسوية، هذا أقبح الظلم وأعظم الظلم. ثم الظلم قد يكون ظلمًا من الإنسان لغيره، وقد يكون ظلمًا من الإنسان لنفسه، والواجب عليه أن يجاهد نفسه في ترك الظلم كله إن كان يرجو النور يوم القيامة في يوم الفزع الأكبر الذي تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترىٰ الناس سكارىٰ وما هم بسكارىٰ. الواجب علينا جميعًا أن نجاهد أنفسنا في ترك الظلم، ومن استُرعي رعية ولو قلت وجب عليه إن كان ناصحًا لنفسه أن يجاهد نفسه مجاهدة عظيمة في ترك الظلم؛ المدير، الشيخ، الأمير، الحاكم، كل من استُرعي رعية فالواجب عليه أن يجاهد نفسه مجاهدة عظيمة في ترك الظلم. والناصح لنفسه يخاف الظلم خوفًا عظيمًا، فإن الخيبة يوم القيامة لمن حمل ظلمًا.

ولذلك لا ينبغي أن تغرنا غفلة الناس عنا فنظلم بعض الناس لأنهم لا يستطيعون أن ينتصفوا منا؛ لأن الله يرانا ويسمع كلامنا، ويعلم فعلنا، والظلم ظلمات يوم القيامة. لا تظلم إخوانك ولو لم تكن لهم سلطة عليك، بل لو كانت السلطة لك عليهم إياك والظلم، لا تظلم ولو بكلمة. وهكذا كل من ولىٰ ولاية فالواجب عليه أن يجاهد نفسه في ترك الظلم.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أيُّما راعٍ غشَّ رعيَّتَه فهو في النَّارِ».

(الشرح)

هٰذَا الحديث بهذا اللفظ رواه ابن منده في الايمان، وقوام السنة في الترغيب والترهيب، وعزاه السيوطي لابن عساكر، وصححه الألباني. وهذا وعيد شديد لكل عبد استرعاه الله رعية ولو قَلَّتْ، ورأس الرعاة الوالي الأعظم، الحاكم الأعظم. وعيد أنه إذا لم يجتهد في الأصلح لرعيته مع القدرة ولم ينصح لرعيته أنه يدخل النَّار؛ فهذا يدل علىٰ أن غش الرعية وعدم النصح للرعية كبيرة من كبائر الذنوب.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَن استَرعَاهُ اللهُ رعيةً ثُمَّ لَمْ يُحِطهَا بِنُصحٍ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَليه الجنةَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشرح)

⊙ **أقرب لفظ له ما عند البُخَارِي:** «ما مِن عَبْدٍ اسْتَرْعاهُ اللهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْها بنَصِيحَةٍ، إلَّا لَمْ يَجِدْ رائِحَةَ الجَنَّةِ». وعند مسلم: «ما مِن أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ المُسْلِمِينَ، ثُمَّ لا يَجْهَدُ لهمْ وَيَنْصَحُ، إلَّا لَمْ يَدْخُلْ معهُمُ الجَنَّةَ». هو ما ورد في الصحيحين بتمام اللفظ الذي ذكره الذهبي لكن الألفاظ قريبة.

(ما من عبد)

(ما) نافية.

(مِن) جاءت قبل النكرة في سياق النفي فتقتضي قوة العموم وقوة الشمول، حتىٰ قال بعض أهل العلم بأن هذا الأسلوب لا يلحقه الاستثناء لقوة العموم.

(ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيةً) كل عبد استرعاه الله رعية -كَمَا قُلْنَا-، كل الرعاة.

(فلم يحطها بنصيحة) لم يجهد لها، لم ينصح لها، لم يبذل وسعه في الصالح لها وفي إصلاحها.

(إِلَّا حَرَّم الله عليه الجَنَّة) وهذا وعيد، ليس المقصود به أنه يكفر ولكن المقصود أنه متوعد بأن لا يدخل الجَنَّة، أي أن يدخل النَّار، فإن كان موحدًا يمكث فيها طويلًا، وإن كان كافرًا فإنه يُخَلَّد فيها؛ وهذا يدل علىٰ أن غش الرعية مُطْلَقًا من كبائر الذنوب.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

وفي لفظ: «يَمُوتُ يَومَ يَمُوتُ وهو غاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عليه الجَنَّةَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشرح)

لفظ البُخَارِيّ: «ما مِن والٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ المُسْلِمِينَ، فَيَمُوتُ وهو غاشٌّ لهمْ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عليه الجَنَّةَ». ولفظ مسلم: «ما مِن عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَومَ يَمُوتُ وهو غاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عليه الجَنَّةَ»؛ وهذا كسابقه بنفس ما تقدم، بنفس معناه؛ وعيد شديد لمن غش الرعية من الرعاة، أن لا يجد رائحة الجَنَّة. وقد جاء في بعض الأحاديث الصحيحة أن رائحة الجنة توجد علىٰ مسيرة أربعين عامًا، وفي بعض علىٰ مسيرة سبعين عامًا؛ فهذا وعيد بأن يُبعَد عن الجنة بعدًا طويلًا؛ وهذا يدل علىٰ أن غش الرعية كبيرة من كبائر الذنوب.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

وفي لفظ: «لَمْ يَجِدْ رائِحَةَ الجَنَّةِ».

(الشرح)

نعم هذا عند البخاري -كَمَا تَقَدَّمَ-.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَا مِن أميرِ عَشرةٍ إِلَّا يُؤتَىٰ بِه مغلولةً يداهُ إِلَىٰ عُنقِه، أَطلَقَهُ عَدْلهُ أو أوبَقْه جَورُهُ».

(الشرح)

هذا الحديث رواه سعيد بن منصور بلفظ مقارب، وكذلك رواه الدارمي بلفظ مقارب، ورواه أحمد. وأحد ألفاظه: «ما من أميرِ عشرَةٍ إِلَّا يؤتىٰ بهِ يومَ القيامةِ مَغْلولًا، لا يَفُكُّهُ إِلَّا العَدْلُ، أَوْ يُوبِقُهُ الجَوْرُ». وقد حسن الألباني بعض ألفاظ هذا الحديث أو بعض روايات هذا الحديث وصحح بعضها. وصححها هذا الحديث أيضًا الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللهُ؛ (ما من أمير عشرة)، (ما من راع يتولىٰ علىٰ عشرة)؛ والعشرة هنا ليس المراد بها التعيين وإنما المراد بها التقليل. قالوا لأن الغالب أن الأمير يكون علىٰ عشرة فما فوق؛ هذا أقل، فالمقصود التقليل. (ما من أمير) أي ما من راعٍ يتأمر علىٰ عشرة أو أقل أو أكثر. (إلا جاء يوم القيامة مغلولة يده إلىٰ عنقه، فإن كان عدلًا أُطلق) يعني إن أعطىٰ من استرعاه الله هذه الرعية حقهم أُطلق، وإن ظلم وجار فإنه متوعد بالعذاب؛ وَهٰذَا يدل عَلَىٰ ما تقدم. وهذا ينبغي أن يثير فينا الحرص الشديد علىٰ العدل، وعلىٰ اجتناب الظلم؛ أنت مخاطَبٌ بهذا، لا تجعله لغيرك، أنت مخاطب بهذا، احرص علىٰ العدل، وجانب الظلم، وإياك أن تظلم الناس شَيْئًا. وهذا يشمل الأمة كلها، يشمل الحاكم الأعظم، ومن دونه من نوابه وأمرائه، ومن يتولون الإدارات، ومن يتولون مصالح الناس، ومن يقومون بأعمال الناس، والرجل في بيته، والمرأة في بيتها وهكذا.

لعلنا نقف عند هذه النقطة ونكمل إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في المجلس القادم. والله تَعَالَىٰ أعلىٰ وأعلم، وصلىٰ الله عليه نَبِيِّنَا وسلم.

واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ أَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ